أرجوزة في الشطرنج

في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس نسخة مخطوطة من كتاب خريدة العجائب والغرائب لسراج الدين عمر بن الوردي وهو الذي طبع مراراً بمصر كتبت بخط أندلسيّ وفيها صورة دائرة ملوّنة كسائر النسخ الخطيّة ولكن هذه النسخة تمتاز عن سواها بأنها ختمت بفصل في موضوع الشطرنج وما فيه من الحكم وهو ليس من أصل الكتاب وان أدمجه ناسخه فيه وختم الكتاب بعد ذلك بقوله :

« انتهى كتاب خريدة العجائب والغرائب ولاحول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل . تمّت وبالخير عمّت »

ولم يذكر تاريخ النسخ واسم الناسخ

أما الذي لفتَ نظرنا الى ذلك الفصل فهي أرجوزة الشريف ابن الهبّاريّة الذي ترجم له ابن خلكان في وفيات الاعيان ترجمة ممتعة[1] وهذه الارجوزة ليس منها الا نسخة واحدة مخطوطة في دار الكتب الالمانية في برلين[2] ولذلك رأينا أن نبعث بها اليكم لعلكم ترون في نشرها فائدة

وعلى ذكر الشطرنج ننقل هنا ما علق بالذاكرة من أشعار علماء الاعيان وأعيان العلماء التي ذكر فيها الشطرنج قال المأمون الخليفة العباسي المتوفّى سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣ م :

أرض مربعة حمراء من ادم ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبهاً من غير أن يسعيا فيها بسفك دم

(١) وفيات الاعيان طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م (ج ٢ ص ١٩)
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٧

هـذا يغير على هذا ، وذاك على هذا يغير ، وعين الحرب لم تنم
فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة في عسكرين بلا طبل ولا علم

وقال الشريف ابن المبارية صاحب الارجوزة التي نحن بصددها المتوفى سنة ٥٠٤ هـ ـ ١١١٠ م :

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها ما في البرية كلها انسان
واذا البيادق في الدسوت تفرزنت فالرأي ان يتبيدق الفرزان

وقال الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ ـ ١١٨٨ م :

انظر الى لاعب الشطرنج يجمعها مغالباً ، ثم بعد الجمع يرميها
كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها حتى اذا مات خلاها وما فيها

وقال محمد بن عبد الرحيم الوادي آشي الاندلسي :

أنلني أيا خير البرية خطة ترفعني قدراً وتكسبني عزا
فأعتز في أهلي كما أعتز بيدق على سفرة الشطرنج لما اثنى فرزا

وقال بعضهم :

وخيلٍ قد رأيت إزاء خيل يُساق بها كأس الرياح
بميمنة وميسرة وقلب كتعبئة الكتائب في البطاح
اذا ما قُتّلوا نُشروا وعادوا صحاحاً لم يصابوا بالجراح
بغير عداوة كانت قديماً ولكن للتلذذ والمزاح

ومع كثرة عناية العرب في لعبة الشطرنج لانها تمثل الحرب وخدعها فلم يؤلفوا فيها من الكتب الا النزر اليسير وياليتها وصلت الينا . من ذلك ماذكره صاحب الفهرست (١)

(١) الفهرست ص ١٥٥ و ١٥٦

١ كتاب الشطرنج للعدلى الذي لم يذكر اسمه وهو أوّل كتاب عُمل فى الشطرنج

٢ كتاب الرازى ولم يذكر اسمه بل قال عنه انه نظير العدلى وكانا جميعاً يلعبان بين يدي المتوكل

٣ كتاب الشطرنج لابى بكر محمد بن يحيى الصولي [١] وهو على نسختين أولة وثانية

٤ كتاب منصوبات الشطرنج لابى الفرج محمد بن عبيد الله الاجلاج المتوفى بعد سنة ٣٦٠ هـ « ٩٧٠ م » وكان من البارعين فيه

٥ كتاب مجموع فى منصوبات الشطرنج لابى اسحق ابراهيم بن محمد بن صالح ابن الاقليدسى وكان من الحذاق

وما قاله صاحب معجم الأدباء [٢] عن كتاب الشطرنج لابى زيد أحمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ٩٣٤ م

وما رواه صاحب كشف الظنون [٣] بقوله : « كتاب الشطرنج : لابى العباس أحمد بن محمد السرخسى الطيب المتوفى سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م) وليحيى بن محمد الصولي (كذا) ولرجل من المتأخرين صنفه فارسياً وادعى فيه انه اعلم من فى الأرض في زمانه فى اللعب المذكور صوّر صورته وشكل اشكاله وذكر المصنفين فيه قبله . اهـ . »

وفي دار الكتب المصرية « كتاب في الشطرنج [٤] » مما ألفه العدلي وأبو بكر الصولي وغيرهما

وذكر صاحب تاريخ آداب اللغة العربية [٥] ان في الخزانة التيمورية بالقاهرة

(١) الصولي توفى سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦ هـ ٩٤٦ أو ٩٤٧م (٢) ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ج ١ ص ١٤٣ (٣) كشف الظنون طبعة الاستانة ج ٢ ص ٢٨٤ (٤) فهرست الكتب العربية ج ٦ ص ١٧٩ (٥) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ج ٣ ص ٢٥٨

كتاباً فى الشطرنج ليس عليه اسم المؤلف ولا تاريخ عصره يبحث في أصل لعبة الشطرنج وتاريخها وسبب وضعها وكيفية اللعب بها وفيه صور عديدة لرقعة الشطرنج على اختلاف مواقع أحجارها واسمه كتاب الشطرنج

كما ان الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمي العربي بدمشق[1] قال ان فى الخزانة التيمورية كتاباً آخر اسمه لعب الشطرنج الهندى جمع الأستاذ أبى الفرج المظفر بن سعد[2] المعروف باللجلاج الشطرنجى مما أخذه على أبى بكر الصولي فيه رسوم للرفع واللعب

وقال السيد محمد بهجة الأثرى البغدادي في مقدمته التى صدّر بها كتاب « أدب الكتاب للصولي » الذي عُني باثارته من مكمنه ونشره[3] انه رأى في كتاب الشطرنج لابن أبى حجلة[4] عدّة نقول عن النسخة الثانية من كتاب الصولي

أمّا الفصل أو قل الأرجوزة التي قصدنا الى نشرها فهي كما يلى :

فصل

في موضوع الشطرنج وما فيه من الحكم

قيل هما عقلان متجادلان ، وجيشان متقابلان . تجمعهم رقعة الجلود ، الشبيه ببقعة الوجود . وضعوا مثالا في غاية التحرير ، للخيل والرجل والملك والوزير . متناظرون بالدرج والدقائق ، موزونون بميزان الحقائق

أرجوزة شعرية ، نظم الشريف ابن الهبارية :

الشاه لا يحضر عند الشاه لأنها من أعظم الدواهي
والرخ لا يولج في المضايق اذ ذاك بالطيور غير لايق

(١) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٣ ص ٣٦٥

(٢) ذكره الفهرست باسم منصوبات الشطرنج لابى الفرج محمد بن عبيد الله اللجلاج

(٣) أدب الكتاب ص ١٤ طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤١

(٤) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ١٣٧٤ م

والعقد في الخندق كالتحصين وضربة المرضي كالكمين
كذا اعتضاد الشاه بالفرزان موعظة في السر للسلطان [1]
لينقي في الخطب بالوزير مفوضاً اليه في الامور
وكل انسان فلا بد له من صاحب يحمل ما أثقله [2]
معاضد في رأيه ونصحه موافق في حربه وصلحه
والشاه قد يحمل في الاحيان وحربه أغيظ للاقران
وذاك عند شدة شديده وشوكة وشيكة حديده
كذلك الموضوع في الشطرنج اشارة الى السبيل المنجي
والمرء يفدي نفسه بوفره عساه ينجو من وثاق اسره
كذاك في الشطرنج يُفدَى الشاه بغيره من عظم ما يخشاه
والتاجر الكيس في التجاره من خاف في متجره الخساره
يجهد في تحصيل رأس ماله ويترك الربح مع اختلاله
كذاك في الشطرنج حفظ البيدق والفيل أصل مع مبادي الفيلق
اذ ليس في العالم شيء محتقر وربما أسالت النفس الابر [3]
ان اقتران الفيل بالفرزان في أول الصف وبالسلطان
رمز بأن الملك بالرجال والمال لا ملك بغير مال
واليد بالساعد والبنان وهكذا الرجال بالاخوان [4]
ومن وصايا حكماء الهند في ذاك يا من نصحه يجهدي
لا تطلب الغاية باللجاج وكن اذا كوّيت ذا انضاج

(١) في الأصل السر في السلطان (٢) ورد هذا البيت في ارجوزته في الحكم ايضا
(٣) جاء هذا البيت في ارجوزته في الحكم على الوجه الآتي :
لاتحتقر شيئا صغيرا محتقر فربما أسالت الدم الابر
(٤) جاء هذا البيت في ارجوزته في الحكم على الوجه الآتي :
فانما الرجال بالاخوان واليد بالساعد والبنان

فما أنى القائم من أهل اللعب ... ذو قوة ظاهرة إلا غلب
وقلما يلعبُ بالقوائم ... الا فتىً بالحرب غير عالم
والبغي داء ما له دواء ... ليس لمن يصنعه بقاء (١)
لا تحقرنَّ راجلا في الضيْلَقِ ... فربما غلبته بالبيدق
لا تعجلن بأخذ ما قد تركا ... وانظر لما ذا تركَ الرخَّ لكا
فربما كاد بهِ مكيدهْ ... تظهر في ثقلاته السديده
لا تخرج الخصم ففي اخراجهِ ... جميع ما تكره من لجاجهِ
فان رأيت النصر قد لاح لكا ... فلا تقصر واحترز أن تهلكا (٢)
أضعفْ قوى الخصم فان ضعفه ... يعني وان طال مداه خسفه
وان أتى في جحفل عظيم ... من الموالى أو من الصميم
وجندهم أكثرهم مجتمعه ... لمطمع بالكسب قد جاءوا معه
فاغفلهمُ بالنقل عنه زائرا ... كنقلة الشامات كيما ينفرا
وان هو استخفى عن المبارزه ... وكنت أحظى منه بالمناجزه
فاخدعه كي يكشف للخلاء ... انَّ الخداع آية الدهاء
وان يكن قد عقدَ الفرازنا ... مسالماً وطالباً لا آمنا
فاصبر له حتى يحلَّ عقدهُ ... مفتتحاً بيده ما سدّهُ
واحرص لتعبا بالجداع حالا ... [ولا تبقي رحمة رجالا] (٣)
هذا يسيرٌ من كثير ما نوى ... في لعبِ الشطرنج فافهم ماحوى
قد رمزوه للهوى مثالا ... انَّ الحكيم يضرب الامثالا
وهذه خاتمة الارجوزهْ ... وما حوتْ من حكم عزيزهْ
حيثما ... عبد الله مخلص

(١) ورد هذا البيت في أرجوزته في الحكم (٢) ورد هذا البيت ايضا في ارجوزة الحكم
(٣) لهذا الشطر نكتة لطيفه رأينا ان نوردها هنا فقد اعيى علينا قراءته وقد كان فوق سقم الخط المغربي قد اكلت الأرضة اكثر حروفه وكان الى جانبنا في المكتبة صديقنا الشاعر المطبوع السيد خير الدين الزركلي فأزنجل ذلك الشطر وانتهى البحث والتنقيب على غير طائل